جيوش النمل الاسود

حدّثت عن البحر ولا حرج وحدّثت عن النمل ولا حرج . فان الذين تكلموا في عجائبه بعد البحث الطويل والاستقصاء الدقيق اتّفقوا في ذلك للجلدات الكبار وهم كلما رادوا بلاداً جديدة من مجاهل الارض رأوا نملها طبائع جديدة لم يعرفوها من قبل . فقد ابت هذه الحشرات الصغيرة الاّ ان تكون مجتمع العجائب والغرائب . ونحن نقصّ عليك الآن خبر نوع منها اختار عيشة الوبر على عيشة الحضر فلم يختر القرى ولم يبنِ البيوت ولا زرع النبات ولا اقتنى المواشي بل هو قبائل رحّل يضرب من بلاد الى أخرى يتتبع مراعيها ويأكل ما فيها ثم يغادرها الى غيرها فهو بين حلّ وترحال دائمين لا يبيت في مكان الاّ ريثما يلتهم ما فيه مما يصلح ان يكون له طعاماً . وكل حيوان أكلٌ له من الافعى الكبيرة التي يقال انها تبتلع الثور البديني الى العقارب وذبّات وردان فهو من الضواري ولا يخو من غايه الاكل سريع العدو او قوي الجناح

قال بعضهم ان هنود اميركا الغربية يطلقون على هذا النمل اسم الجيش السائر ولقد اصابوا في هذه التسمية لانه يسير كالجيش المنظم ويدخل الحراج والغابات ينتش عما فيها من الحشرات فلا يغادرها وفيها حيٌّ غير النبات . وفي ذات يوم كنت اراقب جيشاً منه فلم ادرِ الاّ وقد دار حولي وهجم عليّ هجمة الاسد الضاريه فوثبتُ وثبة الظبي وابعدت من طريقه وقد نابني منه ما لا يزول من ذاكرتي فان نملات قليلات بلغت قدميّ فاوجعتني عضّاً اليماً كأنها ارادت التهامي ولم تبالِ بكبر هامتي

واذا سار هذا الجيش ورأى قرية من قرى الناس في طريقه دخلها وفتشها بيتاً بيتاً ولم يترك فيها حيواناً من كل انواع الافاعي والعقارب والصراصير وما اشبه وما عليه في ذلك من حرج ولو جعل زيارته نهاراً لرحّب به السكان وانزلوه على الرحب والسعة ولكنه يبيتهم ليلاً فيضطرون ان ينهضوا من فرشهم ويتركوا له بيوتهم ومتعتهم ويهربوا في عرض البيداء ومن تأخر منهم عن الهرب ذاق من اتيابه ما لا يفناه في عمره

قال الراوي وكنت اسكن كوخاً ارضه من التراب المدلوك وجدرانه من الطين وسقفه من الخوص بناه اثنان من رجالي في ثلاثة ايام وهو ٢٤ قدماً طولاً و١٥ عرضاً وفيه حاجز يقسمه قسمين بيتاً وخباء . وكنت ذات ليلة ادخن التبغ وقد حان وقت نومي فسمعت صوتاً غريباً كأنّ بزوداً تلقى على الورق فالتفت الى الرفوف وكانت مغطاة بورق الجرائد وعليها

بعض الامتعة فاذا ورقها مغطى بالنمل الاسود ثم التفتُّ الى الجدران فاذا هي مغطاة بهِ وهو يموج عليهِ صعودًا ونزولاً فمكت المصباح بيدي وهرعت نحو الباب فوجدت الارض في تلك الجهة مغطاة بجيوشهِ والتفت ورائي واذا هو قد ادركني فخطر لي اولاً ان الجو ينفعني واترك لهُ البيت وما فيهِ ولكن كنت اودُّ ان اراقبهُ لارى ما يفعل ولاح ببالي حينئذٍ ان النمل كلهُ يكره رائحة زيت البترول فاخذت صفيحة فيها من هذا الزيت وصببتهُ على الارض في دائرة ووضعت كرسيًّا في وسطها وجلست عليه وكان النمل قد انتشر في البيت كلهِ وحاول كثير منهُ قطع الدائرة والوصول اليَّ فعاد ادراجهُ او هلك بها ولم يقطعها الاَّ نمل قليل فقتلتهُ ولم اصب بمكروه وجلستُ على كرسيِّ اراقبهُ

وانهُ ليتعذر عليَّ ان اصور للمن القارئ صورة ما كنت اراهُ اذا لم يكن قد رأى مثلهُ بنفسهِ فانهُ في اقل من ربع ساعة غطى النمل كل ارض بيتي ما عدا الدائرة التي كنت فيها وغطى السقف ايضًا والجدران جيش لا يحصى ولا يعدُّ كرمل البحر في الكثرة . وللحال اخذت الحشرات تحاول الهرب من وجههِ فابرقت اسرقي لما رأيت الصراصير اعدائي الالداء تحاول الهرب فلا تجد اليهِ سبيلاً بل تحجم الف غلة على الصرصور الواحد وفي لحظة من الزمان لا تبقي منهُ الاَّ قليلاً من احشائهِ وقشر بدنهِ . ووثبت بنات وردان تريد الفرار فسدَّ النمل عليها مذاهبها وخطف روحها باسرع من لمح البصر . ثم التفتُّ الى السقف واذا شيء يتحرك فيهِ والحال سقطت منهُ عقرب كبيرة وسقط معها جم غفير من مطارداتها فتعاون عليها النمل واجهز عليها وابقاها اثرًا بعد عين . والتفتُّ الى صندوق فيهِ اغنمني وكنتُ قد رفعتهُ على قطع من الخشب لكي لا تصل اليهِ الرطوبة فاذا ست عناكب كبيرة خارجة من تحتهِ والنمل يتبعها فالتهمها حالاً مع ما فيها من اكياس السم . وسقط حريش كبير من السقف طولهُ نحو نصف قدم وجسمهُ مغطًّى بالحراشف فجاهد طويلاً ولكن النمل غطاهُ حالاً واوردهُ موارد الردى ولم يبقِ على شيء منهُ .

ودامت هذه الواقعة ثلاثة ارباع الساعة وفي غضونها كان النمل قد تفقد كل خرق وشق في البيت حتى اذا ثبت لهُ انهُ لم يبقَ فيهِ حيوانٌ يمكنهُ افتراسهُ اخذ يخرج من الجهة المقابلة للجهة التي دخل منها وفي اقل من ربع ساعة لم تبقَ منهُ نملة في البيت ولا حشرة الخشى شرها الاَّ البراغيث . وقبل ان اعود الى نفسي سمعت ضجة في بيت الدجاج بجانبي فخرجت لارى سببها واذا الدجاج تعدو في عرض البيداء والفراخ تتقد النمل عن رجلها فبادرت اليها بصفيحة زيت البترول وجعلت انضح منهُ عليها وعلى بيتها فتركها النمل وسار في طريقهِ الى اقرب كوخ فهرب سكانهُ منهُ وتركوهُ لهُ